☦ دير الشهيدة دميانه للراهبات بالبراري

ملء الزمان

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانه ببراري بلقاس

الكتاب: **ملْء الزمان**

المؤلف: نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانه ببراري بلقاس

الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري

الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانه

الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانه

الطبعة: الأولى يناير ٢٠١٤

رقم الإيداع بدار الكتب:

الترقيم الدولي:

يطلب من دير القديسة دميانة بالبراري، تليفونات رقم:

٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،
٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،
٤١١١١٣٥(٠١٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٨)، ٦٨٨٨٨٥٣(٠١٤)

فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.

بريد إلكتروني email: demiana@demiana.org

email: demiana**8**@demiana.org

يطلب أيضًا من:

مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)

ومقر الدير بالإسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

صاحب الغبطة و القداسة البابا

المعظم الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة

المرقسية الـ ١١٨

نيافة الحَبر الجليل الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانه

ببراري بلقاس

مقدمة

يقول معلمنا بولس الرسول: "لَمَّا جَاءَ **ملْء الزَّمَانِ**، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ" (غل٤: ٤). لقد انتظرَت البشرية طويلاً مجيء المخلِّص ولكنه لم يأتِ إلاَّ في "ملْء الزمان".

وبالرغم من أن ملء الزمان له أسباب كثيرة في إعداد البشرية لتجسد ابن الله الكلمة. ولكن مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث كان يقول لو لم يكن هناك سبب آخر لانتظار الرب هذه الآلاف من السنين حتى يتجسد في ملء الزمان لكان سببًا كافيًا أنه انتظر مجيء العذراء القديسة مريم التي صارت والدة الإله.

ملْء الزمان ارتبط جدًا بوجود العذراء مريم حتى يمكن باتضاعها أن تصير والدة للإله الكلمة الذي تجسد منها بفعل الروح القدس؛ إذ اتخَذ منها ناسوتًا كاملاً بغير خطية.

وكما ارتبط ملْء الزمان بأعظم مواليد النساء من البشر –العذراء مريم– ارتبط أيضًا بأعظم مواليد النساء من الأنبياء من الرجال الذين سبقوا السيد المسيح والذين خدموه إذ أن "شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ" (رؤ١٩: ١٠).

يا للعجب كيف تزامن وجود أعظم مواليد النساء من النساء "أي العذراء مريم والدة الإله" مع أعظم مواليد النساء من الأنبياء الرجال "أي يوحنا السابق الصابغ" في ملْء الزمان؟! لقد تأخَّر الحبل في يوحنا المعمدان خصيصًا لتزامن البشارة به مع البشارة بتجسد الكلمة ليكون هو الذي يتقدَّم أمام الرب بروح إيليا وقوته وليكون هو الصوت الصارخ في البرية "صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً" (لو٣: ٤). تحقيقًا للوعد الإلهي "هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ" (مر١: ٢). لذلك بدأ يوحنا المعمدان خدمته قبل السيد المسيح بستة أشهر تقريبًا. وقال عنه السيد المسيح: "مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟. لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَاناً لاَبِساً ثِيَاباً نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمُلُوكِ. لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيّاً؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ. فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (مت١١: ٧-١١) لأن السيد المسيح أعظم بالطبع من يوحنا وهو أصغر منه

بحسب الجسد بستة أشهر. إذا كان يوحنا هو أعظم مواليد النساء بين الأنبياء؛ فليس عجيبًا إذًا أن تكون العذراء مريم هي أعظم مواليد النساء بين البشر جميعًا.

ماذا نقول عن ملْء الزمان، وماذا نقول عن ملْء النعمة في العذراء مريم. لهذا خاطبها الملاك بقوله "سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الممتلئة نعمة! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" (لو١: ٢٨) لقد زادت القديسة مريم نعمة فوق نعمة عندما حل عليها الروح القدس بعد بشارة الملاك، ولكنها كانت ممتلئة نعمة من قَبْل البشارة وزادت امتلاءً وتم تدشين مستودعها ليحمل جسد الله الكلمة الذي اتحد لاهوته بناسوته في نفس لحظة اتخاذه لهذا الناسوت. إن الكنيسة المقدسة تدشن الأواني التي يوضع فيها جسد الرب ودمه أثناء القداس الإلهي بمسحها بزيت الميرون. هكذا يليق أن يتم تدشين كل إناء يَحْمِل جسد السيد المسيح. ويليق بالعذراء مريم أن نلقِّبها بالكأس التي لا تنضب أبدًا؛ أو "الكأس المقدسة الحقيقية" (The Real Holy Grail) لأنها حملت جسد ودم الطفل يسوع وولدته وهي عذراء وصارت سماءً ثانية جسمانية. فلنفرح بولادة ذاك الذي أخلى

نفسه ليرفعنا إلى مشاركة المجد الأبدي العتيد أن يستعلن الممنوح للمفديين.

وكما أنه يوجد "ملْء الزمان" بالنسبة للبشرية الذي فيه تحققت كل الآمال، هكذا يوجد "ملْء الزمان" لكل مَن له أشواق حارة سماوية من محبي الرب الذين ينتظرون تحقيق وعوده في حياتهم. على هذا الرجاء المبارك نعيش غربتنا الحاضرة.. فطالما نحن في الجسد فنحن متغربون عن الرب ولكن مع ذلك فلابد أن تبصر أعيننا خلاصه قبل انطلاقنا، ليتنا ندرك قيمة الوقت لكي نعبر إلى خارج نطاق الزمن حيث لا انتظار بل حضور مستمر لعريس الحب الإلهي.

نسأل الرب أن يجعل من هذا الكتاب سبب منفعة لكثيرين بصلوات **صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني** أطال الرب حياته وأدام رعايته.

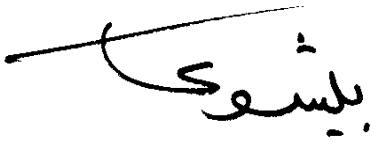

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانه

عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ٢٠١٤م

ما هو ملْء الزمان؟

يقول الكتاب: "لَمَّا جَاءَ ملْء الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّه ابْنَهُ مَوْلُوداً مِن امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ. لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غلا٤: ٤، ٥)، فما هو ملْء الزمان؟ ولماذا لم يولد السيد المسيح بعد سقوط آدم وحواء مباشرة؟!

لقد وعد الله بالخلاص بعد السقوط ولكنه انتظر آلاف السنين حتى تمَّم وعده بالخلاص. وكان لابد أن يُهيئ الله البشرية لعملية الخلاص والفداء؛ لأنه لم يكُن من السهل أن تصدّق البشرية أن الله يرسل ابنه مولودًا من امرأة. وعندما تعجبَت العذراء أنها ستحبل بدون زواج؛ لأنها لم تكن تعرف رجلاً قال لها الملاك "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللَّه" (لو١: ٣٥). فكان الله يجهز البشرية خلال آلاف السنين لتستقبل هذا الحدث.

لقد كانت البشرية تئن وتعانى في احتياج شديد لمجيء المخلِّص، وبكل تأكيد كان الله يشعر بآلام البشرية، فقال "منْ أجْل شَقَاء المسَاكِينَ وتَنَهُد البائِسِينَ الآنَ أقومُ. يَقولُ الرَّبُ أَصْنعُ الخَلاصَ عَلانِيَةً" (مز١١: ٥).

إن الرب يشعر بآلامنا ومذلتنا وأوجاعنا.. وقد رأى كيف تمزقت البشرية في مخالب الشيطان القاسي الذي لا يرحم، فتحركت أحشاء رحمته ونزل ليخلصنا وينقذنا من فم الأسد.

اللَّه وعده صادق مهما تأخّر علينا لا ينسى أبدًا.. بل في ملْء الزمان يحقق لكل إنسان كل طلباته... في الوقت الذي ينقطع فيه الرجاء والأمل تأتي الاستجابة بقوة بطريقة إعجازية لا يتصورها العقل.

يقول إشعياء النبي: "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ" (إش٧: ١٤)، "مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ" (إش٥٣: ١، ٢) هذا الكلام كان قبل ميلاد السيد المسيح بثمان مائة سنة. فالمسيحية لم تأتِ من فراغ, ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول هذه الأنشودة العجيبة "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرٌّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ" (رو٣: ٢١)...

إنها سيمفونية جبارة عزفها كل الذين اشتركوا في إعداد فكر وضمير البشرية لهذا الحدث العجيب... تجسُد الكلمة... فبمقدار روعة الحدث بمقدار الإعداد له.

فلو كان التجسد والفداء أمرًا بسيطًا وليس له أهميته؛ لكنّا نقول لماذا لم يصنع اللَّه الفداء بعد سقوط البشرية مباشرةً؟! ولكن لأنه حدث خطير جدًا؛ فكان يجب إذًا أن عملية الإعداد له تستغرق زمانًا طويلاً بما يتناسب مع روعة وعظمة الحدث.

من أقوال قداسة البابا شنوده الثالث

ملء الزمان هو الوقت المناسب :
انتظر الرب حتى يعد كل شيء لتجسده، ثم بعد ذلك نزل إلينا في الوقت المناسب.. لم يكن هناك وقت مناسب أكثر من موعد مجيئه بالذات.
كان كل شيء مهيأ وكل شيء معد.
لذلك كان عمل مجيئه قويًا، وكان تقبل الناس له سريعًا...
كانت النبوات قد اكتملت، وكذلك الرموز.
وأعد الرب فهم الناس لها خلال مدي طويل، حتى يستطيعوا أن يستوعبوها عندما يتم المكتوب **ويتحقق الرمز ...**

وعود وعهود

إن اللَّه لم ينسَ وعده، لكنه كان ينتظر الوقت المناسب. وذلك بعد أن يكون قد أعد كل شيء. وقد كُتبت نبوات كثيرة ورموز كثيرة في الكتب المقدسة تُمهد لمجيء المُخلِّص. لأن تجسُد كلمة اللَّه، أو ظهور اللَّه الكلمة في الجسد، لم يكن شيئًا بسيطًا يستطيع الإنسان أن يفهمه، أو يستوعبه. فكان لابد أن يمهد اللَّه برموز وأحداث كثيرة. وكلما تقدّم الزمن ازدادت المقاصد الإلهية وضوحًا، حتى صارت واضحة كالشمس على خشبة الصليب.

إن صراخ البشرية قد وصل إلى أذنَي رب الجنود وقام الآب السماوي بتجهيز كل شيء من أجل خلاص البشرية، وفي إعداده للخلاص أعطى وعودًا وعهودًا.. وكان الثالوث القدوس يعمل بكل قوة من أجل إتمام الخلاص. فكل ظهورات اللَّه في العهد القديم هي ظهورات للابن الوحيد قبل التجسد وقد كانت تمهيدًا واضحًا لظهوره بالتجسد الفعلي في ملْء الزمان. وكل النبوات نطق بها الروح القدس على فم الأنبياء القديسين الذين هم منذ الدهر. والآب السماوي أرسل ابنه الوحيد لإتمام الفداء، وأرسل موعده بالروح القدس ليقود الكنيسة لاقتناء ثمار الفداء، كما أنه قد دبّر مع الابن والروح القدس كل شيء من أجل خلاص البشرية ومنحها المواهب والعطايا النازلة من

عنده؛ أي من عند أبي الأنوار. وقد أعد الرب كل شيء قبل الزمن "لا بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ. وَإِنَّمَا اظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي ابْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ" (٢تي١: ٩-١٠). وعبارة "قبل الأزمنة الأزلية" هي نفسها عبارة "قبْل كل الدهور" التي وردت في قانون الإيمان.

لا توجد شخصية في الكتاب المقدس لا ترتبط بقضية الفداء والخلاص.. كثير من شخصيات وأحداث الكتاب المقدس في العهد القديم ترمز من جانب أو آخر إلى شخص السيد المسيح. ونستطيع من خلالها أن نرى صورة السيد المسيح الفادي معلقًا على الصليب مخَلِّصًا للبشرية؛ وهذا هو الهدف الذى كان يسعى إليه كل الأنبياء ليُظِهروا ما أعده الله؛ فما أعده الله الآب "قبْل الأزمنة الأزلية" قد تحقق عندما جاء "ملْء الزمان" بحسب قصد الله ومسرته التي قصدها في نفسه "لِتَدْبِيرِ ملْءِ الأَزْمِنَةِ" (أف١: ١٠) من أجل خلاص البشرية... كذلك جهز الله البشرية بالذبائح الكثيرة لكي تفهم قصد الله في ملء الزمان أنه "بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ نَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!" (عب٩: ٢٢). وعهد الختان الذي أقامه الله مع إبراهيم كان رمزًا للمعمودية "خِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ" (رو٢: ٢٩).

تجهيزات وإعدادات ليس فقط بالرموز، ولكن بالظهورات، والنبوات الكثيرة جدًا وعلى مدى آلاف السنين وسوف نورد بعضًا منها.

أولاً: الرموز

🕮 فُلْك نوح

يذكر لنا الكتاب في سفر التكوين: "**وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارّاً لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ**" (تك٧: ١).. فُلْك نوح كان رمزًا للسيد المسيح كما أن الخلاص تم بواسطة الفُلْك عندما دبر الله الطوفان ولم ينجُ منه غير نوح وامرأته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم؛ أي ثماني أنفس فقط هم الذين خلصوا.. لقد كان الطوفان رمزاً للخلاص بالمعمودية، وعندما أراد نوح أن يعرف إن كانت الحياة قد بدأت تدب على الأرض مرة أخرى أم لا، أرسل حمامة فعادت ومعها غصن زيتون إشارة بأن الحياة قد بدأت تعود مرة أخرى على الأرض. فاستطاع نوح وأسرته بالإيمان أن يعبروا في الطوفان دون أن يموتوا، **فخرج من داخل الموت؛ حياة.. وهذه هي فلسفة المعمودية أو معنى المعمودية..**

لذلك شرح مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث في كتاب "اللاهوت المقارن" أن المعمودية لازمة للخلاص لأنها شركة في

موت المسيح.. لأنها إيمان بالموت كوسيلة للحياة.. واعتراف بأن أجرة الخطية هي موت؛ فالإنسان يُدفن بالمعمودية لكى يبدأ حياة جديدة.. أي يُدفن الإنسان العتيق بالمعمودية، ويخرج الإنسان الجديد.

فَفُلْك نوح كان رمزاً لجسد يسوع المسيح.. وبتقديم جسد يسوع ذبيحة على الصليب؛ خلصنا نحن من طوفان بحر العالم، ومن الهلاك الأبدي.

وقد عرف نوح أن الحياة قد عادت للأرض مرة أخرى بعد الطوفان عندما جاءت الحمامة حاملة غصن الزيتون، فأخرج نوح يده وأخذ الحمامة. فغصن الزيتون يرمز إلى زيت الزيتون، وزيت الزيتون هو الذي يُستخدم في سر المسحة المقدسة في الميرون.. حيث يُرشم المعمَد بزيت الميرون المقدس، الذي فيه مسحة الروح القدس بعد العماد، وبذلك يكون ممسوحًا بالروح القدس، ولذلك يدعى "مسيحيًا"..

وبهذا نرى أن الطوفان يرمز للمعمودية، والحمامة الحاملة غصن الزيتون ترمز إلى سر الميرون الذي يعقب المعمودية.

فالفُلك نفسه رمزٌ للسيد المسيح، والمياه كانت رمزًا للمعمودية، فالسيد المسيح حينما نزل في نهر الأردن ليعتمد من يوحنا، انفتحت السماء، **وحل الروح القدس عليه بهيئة جسمية مثل حمامة** وقال بطرس الرسول عن فلك نوح والطوفان: "**الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ، الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةُ**" (١بط٣: ٢٠، ٢١).. مياه الطوفان أبادت الشر وأعطت فرصة جديدة للحياة على الأرض كما يُباد الشر السابق للمعمودية ويدخل الإنسان إلى الحياة الجديدة في المعمودية.

ونوح الحقيقي –السيد المسيح– الذي صار به تجديد الحياة على الأرض مرة أخرى، صنع فُلكًا هو الكنيسة المقدسة، وأرسل إليها الروح القدس كما جاءت الحمامة التي ترمز إلى الروح القدس لكى تبشر نوح بعودة الحياة.

📖 ذبيحة أبينا إبراهيم

أبونا إبراهيم حينما ناداه الله قائلاً له: "**خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً**

عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ" (تك٢٢: ٢) وكان هذا الطلب صعب جدًا... فبعد كل هذه المحبة التي أحبَك بها إبراهيم يا رب تطلب منه أن يذبح ابنه بيديه؟!! ولكن إبراهيم قال أنا ليس عندي أغلى منك يا رب، ويقول الكتاب: "فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا... وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ" (تك٢٢: ٣)، وعندما وضع السكين على رقبة إسحاق ظهر له السيد المسيح وقال له: "لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللَّهَ فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي" (تك٢٢: ١٢)....

يكفي ذلك يا إبراهيم، الآن علمت محبتك لي وقال له: "بِذَاتِي أَقْسَمْتُ بِقُولُ الرَّبُّ.. أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيراً" (تك٢٢: ١٦، ١٧) إذًا.. هل قصة ذبيحة أبينا إبراهيم هذه كانت مسرحية؟! بالطبع لا لأن إبراهيم انتُزع قلبه، وبدأ يشعر بالآلام تعتصره من الداخل، كيف يذبح ابنه بيده؟!!.. في وسط هذه المشاعر بدأ يفهم قيمة مشاعر الله الآب عندما سيصنع الفداء من أجل البشر.. ومدى مقدار محبة الله حينما يُقدِّم ابنه الوحيد ذبيحة عن حياة العالم كله.. وبدأ إبراهيم يفهم معنى محبة الله الباذلة من أجل الفداء ومن أجل الخلاص. **إن عودة إسحاق حيًا كانت رمزًا للقيامة التي هي الحياة الجديدة.**

ويقول معلمنا بولس الرسول: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ" (عب١١: ١٧) لأنه آمن أن الله قادر أن يُقيم من الأموات "إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضاً" (عب١١: ١٩) فقال سأذبح إسحاق وأوقد فيه النار ويتحول إلى تراب؛ ولكني أثق أنه سوف يرجع معي حيًا لأن الله وعدني أنه بإسحاق يُدعَى لك نسًلا. ما هذا الإيمان؟ هذا هو إيمان أبينا إبراهيم.. وهكذا نحن نؤمن بموت السيد المسيح وقيامته من الأموات. فتأمَّل يا عزيزي ماذا يريد الله من هذا الحدث الكبير؟ لماذا دُعِيَ إبراهيم أب لكل المؤمنين؟! لأنه آمن بموت السيد المسيح وقيامته، وقال معلمنا بولس الرسول إننا سنُحسَب أولاد إبراهيم لأننا نؤمن على مثال إيمان إبراهيم نحن الذين نؤمن بأن يسوع المسيح قد أُسلم لأجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا (انظر رومية٤). والسيد المسيح نفسه أعلن هذا بقوله "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يو٨: ٥٦) كيف فرح مع أنه بالفعل كان خائفًا؟ فرح لأنه كان محمولاً على أذرع الإيمان، فكان خائفًا لكن في الوقت نفسه كان واثقًا أن إسحاق سوف يرجع حيًا، وكان هذا هو منظر الصليب ومنظر القيامة وهو ما اشتهى إبراهيم أن يراه.. في هذه اللحظة كان في

حالة رؤيا واستعلان يفوق النظرة البشرية تمامًا، واستطاع أن يرى السيد المسيح مُعلقًا على صليب الجلجثة.. واستطاع أن يرى التدبير الإلهي لخلاص البشرية، واستطاع أن يرى السيد المسيح قائمًا من الأموات منتصرًا على الموت والخطية... وقال السيد المسيح عن إبراهيم "**اشتهى أن يرى يومي**" ولم يقُل "اشتهى أن يراني"، بل قال يرى **يومي** ونحن نقول "**هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ**" (مز١١٧: ٢٤). هذا هو يوم الخلاص، هذا هو يوم الفداء. اشتهى أن يرى يومي فرأى وفرح. فأي إنسان يؤمن بذبيحة أبينا إبراهيم عليه أن يتوقف طويلاً أمام هذا الحدث الجليل، وإنه إشارة إلى أن الآب سوف يُسلِّم ابنه فداءً عن البشرية.

إسحاق قد وُلد بموعد، وهذا الوعد هو نفسه يحمل الوعد بالخلاص الذى تممه في ملْء الزمان ابن الله الوحيد الجنس الذى جاء من نسل إسحاق، وهذا الوعد بالخلاص يشير ضمنيًا إلى الوعد بالحياة الجديدة.

وهكذا نرى أن كل ما حدث في تاريخ البشرية؛ به اشارات للسيد المسيح وعمله الفدائي في ملء الزمان. وهكذا كان الله يمهد لمجيء ملء الزمان.

📖 يوسف الصديق

يقول عنه الكتاب: "يُوسُفُ غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ. فَمَرَّرْنَهُ وَرَمَتْهُ وَاضْطَهَدَتْهُ أَرْبَابُ السِّهَامِ. وَلَكِنْ ثَبَتَتْ بِمَتَانَةٍ قَوْسُهُ وَتَشَدَّدَتْ سَوَاعِدُ يَدَيْهِ. مِنْ يَدَيْ عَزِيزِ يَعْقُوبَ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الرَّاعِي صَخْرِ إِسْرَائِيلَ" (تك٤٩: ٢٢- ٢٤).

دعاه أبوه غصن شجرة مثمرة يثمر حُبًا سماويًا. **فيوسف يمثل النفس الأمينة للرب التي لا تتوقف عن تقديم الحب بالرغم من كثرة المقاومات. والحديث هنا ينطبق بالأكثر على السيد المسيح الذي حسده إخوته، وقام ضده أرباب السهام أي قادة الشعب اليهودي، ولكن انكسرت أقواسهم، وأُعلن على الصليب النصرة ضد قوات الشر.**

ويوسف عندما بيع وألقاه إخوته في البئر وأصبح بعدها ملكًا على مصر وأتى إليه إخوته وسجدوا له، وأُطلق عليه في مصر باللغة المصرية "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ" أي مخلِّص العالم؛ ودُعيَ مخلِّص العالم لأنه خلَّص المنطقة كلها وليس مصر فقط من جوع سبع سنين. **في كل هذا كان إشارةً ورمزًا للسيد المسيح المخلِّص والفادي.**

🕮 المن السماوي

يذكر لنا سفر الخروج: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزاً مِنَ السَّمَاءِ! فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا" (خر١٦: ٤)، ما معنى أن السماء تمطر خبزًا؟ فالمن السماوي يشبه بذر الكزبرة وطعمه مثل رقاق بالعسل (انظر خر١٦: ٣١). فهل السماء تمطر رقاق بعسل؟ نعم فقد **كان هذا رمزًا للسيد المسيح "خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ"** (يو٦: ٣٣). وقسط المن أمر الرب موسى أن يضعه داخل تابوت العهد. وتذكُر الأبصلمودية السنوية في ثيئوطوكية يوم الأحد هذا الرمز (شبّهوا القسط الذهبي بالعذراء. وكيل المن بمخلِّصنا).

🕮 لوحي العهد

موسى النبي صعد فوق جبل سيناء ويديه فارغتَين ثم نزل بحجرَين مكتوب عليهما الوصايا العشر باللغة العبرية، فكيف كتبهما؟!! إنهما مكتوبان بإصبع الله. **وكلام الله رمزًا لتجسد الكلمة** وكان لوحي العهد أو لوحي الشريعة منقوشة وموضوعة داخل تابوت العهد. وعندما نتكلم عن قدس الأقداس داخل خيمة الاجتماع نجد في داخل تابوت العهد أيضًا "عصا هارون التي أفرخت بدون سقى ولا زرع" فكيف تَخضَّر عصاة يابسة وتُخرِج زهرًا بدون أن يغرسها

أحد أو يسقيها؟ ألم تكُن هذه العصا الجافة رمزًا للسيدة العذراء التي حبلت بدون زرع بشر؟! وأيضًا شورية هارون الذهب، ومائدة خبز الوجوه، والمنارة ذات السبع سُرُج، كما كُتِب في التسبحة "المجمرة الذهبية الحاملة جمر النار. والبخور المختار العنبري" – "عصا هرون التي أزهرت. والزهرة المقدسة التي للبخور"– "هذه جميعًا معًا تدُلنا على ولادتك العجيبة يا مريم العذراء"– "كان في القبة قسط ذهبي وكيل مَنٍ مخفي فيه" – "كان في القبة عصا هرون هذه التي أزهرت بغير غرس ولا سَقى" (انظر ثيئوطوكية يوم الأحد بالإبصلمودية السنوية المقدسة) كلٌ منها يشير إلى السيد المسيح وكنيسته وعمله في العهد الجديد.

🕮 شعب إسرائيل في البرية

إذا تأمَّلنا في أيام موسى النبي أثناء تنقلات شعب إسرائيل، سنرى أعجب منظر. حيث نرى ستمائة ألف رجل من سن ٢٠ إلى ٦٠ سنة، فماذا يكون عددهم من سن شهر إلى سن ١٢٠ سنة؟ إذا كان ستمائة ألف رجل من سن٢٠ إلى ٦٠ سنة فيكون ثلاثة أضعاف هذا الرقم أي مليون وثمانمائة ألف شخص، ومثلهم تقريبًا النساء. فيكون العدد الإجمالي حوالى ثلاثة ملايين وستمائة ألف

شخص؛ مقسمين إلى أربع مجموعات فيكون كل مجموعة من الأربع ما يقرب من تسعمائة ألف شخص لأن من العدد الإجمالي وفي وسطهم اللاويون الذين يحملون خيمة الاجتماع، وبني هارون الذين يحملون تابوت العهد وفوقه الكاروبَين الذهب. وهم سائرون في البرية ينفخون في الأبواق، ويقولون "قُم أيها الرب الإله". ومن كل ناحيه ثلاثة أسباط من الاثني عشر سبطًا لأن سبط يوسف كان محسوبًا باثنين "منسى وإفرايم" وسبط لاوي مع الخيمة أي ثلاثة عشر سبطًا... واحد فقط في القلب واثنى عشر في الأجنحة سائرين في البرية بنظام كأنهم صفوف في جيش، منظر عجيب جدًا أن يسير ثلاثة ملايين وستمائة ألف شخص في البرية منظمين، أسباط وعشائر وألوف ولا أحد من عشيرة يذهب إلى مجموعة أخرى... **منظر للصليب في منتهى العجب.** فلماذا أراد اللَّه أن يسير شعبه وهو خارج من أرض العبودية على هيئة صليب؟!

الكنيسة في قلب الله في صورة صليب، **فالله يرى شعبه على هيئة صليب وكنيسته لا تراه إلاَّ من خلال الصليب. ولأن العهد الجديد الذي أُعلن على الصليب بين السيد المسيح وعروسه الكنيسة، هو عهد خلاص بالدم المسفوك على الصليب.** وقد صار الصليب عرشًا للملك السيد المسيح، مَلَكَ به على قلوب المفديين الذين اشتراهم بدمه الثمين. هذا هو مجد المحبة، ومجد الخلاص، ومجد أبوة الله للبشرية، ومجد الكنيسة..

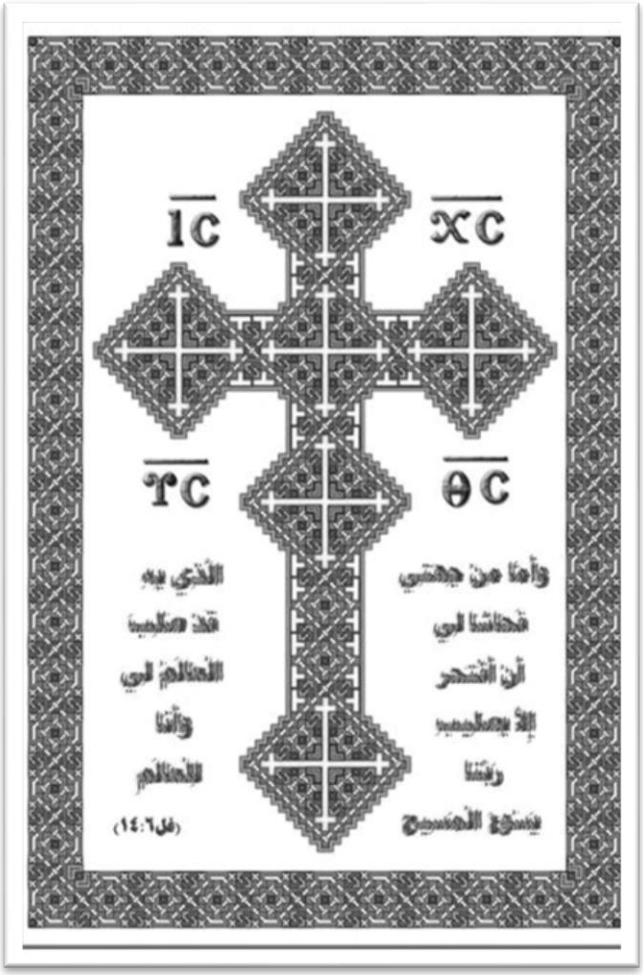

إن الصليب علامة بركة تُرعب الشياطين ونتبارك بها، وبقوة علامة الصليب ننتصر على قوات الظُلمة الروحية.

والصليب الحقيقي للسيد المسيح الذي فيه دم السيد المسيح حينما أُكتُشِفَ رُتِلَت له مدائح وألحان، لأن فيه دم السيد المسيح المتحد باللاهوت.

📖 **عبور البحر الأحمر**

عبور البحر الأحمر كذلك كان رمزًا للمعمودية، لقد كان عبور الشعب هو اختبار لإيمانهم. فكان من الممكن أن يخافوا، أو يقولوا خير لنا أن نقع أسرى من أن نموت عندما ينطبق علينا الماء الواقف مثل السور العالي. لذلك كان هذا اختبارًا لإيمانهم في أن يقبلوا الموت بدخولهم إلى الماء لكي يحيوا عند خروجهم منه.. وهذه هي فلسفة المعمودية التي هي قبول الإنسان للموت ليستطيع أن يحيا. وعبور نهر الأردن كان أيضًا رمزًا للمعمودية، خصوصًا معمودية السيد المسيح، ففي رحلة بني إسرائيل انشقت المياه مرتين؛ مرة بعلامة الصليب بعصا الرعاية الخشبية على يد موسى النبي وهو ما يشير لصليب السيد المسيح، ومرة بتابوت العهد الذي يشير أيضًا للسيد المسيح، وفي ثالث مرة –في ملْء الزمان– انشقت السماء لكي نفهم أن **شق المياه كان رمزًا، وشق السماء هو الهدف الذي جاء من أجله ابن الله لكي يرفعنا إلى السماويات.** هكذا نحن بعلامة الصليب وبقوه الصليب وبمياه المعمودية وبعمل الروح القدس فيها نخلُص من عبودية فرعون العقلي أي من عبودية الشيطان...

عندما نزل الكهنة وهم يحملون تابوت العهد ودخلوا بأرجلهم في مياه نهر الأردن، انشقت المياه. وعبر الشعب. ولما نزل تابوت العهد الحقيقي في نهر الأردن

الذي هو السيد المسيح لم تنشق المياه بل انشقت السماء. لماذا؟! لأن المياه انشقت لكي يدخل الشعب أرض الميعاد المؤقتة، لكن عندما جاء تابوت العهد الحقيقي انشقت السماء ليقول لنا إن ميراثنا فوق في السماء، ومملكته ليست من هذا العالم فالأرض الموعود بها التي هي أرض إسرائيل كانت إلى مجيء السيد المسيح فقط لا غير. بعد ذلك أصبح الميراث هو ملكوت السماوات. إذًا تابوت العهد شق المياه, وتابوت العهد الحقيقي شق السماء. وبعماد السيد المسيح انفتحت السماوات بدلاً من المياه، وصار العبور من الأرض إلى السماء؛ بدلاً من أن يكون من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية لنهر الأردن.

هذه كانت بعض أمثلة لرموز وإشارات عن السيد المسيح وعمله الخلاصي.

ثانيًا: النبوات

"وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ بَرَكَةً" (تك١٢: ١-٢).. كان الهدف من أرض الميعاد التي أعطاها الله لإبراهيم؛ هو أن يعزله عن

منطقة العبادة الوثنية التي تربى فيها وسط عشيرته، فينشأ نسله في أرض غريبة ولا يختلط مع تقاليد وعبادات هذه الأراضي الغريبة، ويعيش فيها يعبُد الله. لأن الأمر يتطلب أن يكون هناك جماعة لها نبوات وعبادة تشهد بمجيء المخلص. فكانت الأمة اليهودية؛ وكانت الكتب المقدسة، والممارسات الطقسية، والعبادة اليومية، والأعياد، والعادات، والتقاليد، كلها تدور حول عقيدة أساسية هي أن الله سوف يرسل المسيا مخلِّص العالم. وقد ورد الكثير من النبوات عن السيد المسيح في أسفار العهد القديم. وهذه النبوات لا تتكلم عن ميلاده فقط، بل تتكلم أيضًا عن ألوهيته, وعن آلامه وصلبه وصعوده إلى السماوات أيضًا...

📖 **نبوات أُعطِيَت عن ميلاد السيد المسيح ومنها:**

"يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ" (إش٧: ١٤). ونبوة أخرى في سفر إشعياء تقول: "لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ" (إش٩: ٦). ونبوة أخرى "وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ

وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ" (مي٥: ٢).. مخارجه منذ أيام الأزل لكنه سوف يُولَد. وماذا أيضًا عن بيت لحم؟! "صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلاَدِهَا لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ" (إر٣١: ١٥). فما العلاقة بين الرامة وبيت لحم؟ الذين في الرامة يمكن أن يروا بيت لحم على مدى البصر فالنبوة تقول "صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ" لأن في الرامة كان قبر راحيل أم يوسف وبنيامين ولا زال قبر راحيل هناك وكثير من النساء في بيت لحم عند ميلاد السيد المسيح كان اسمهم راحيل. لذلك عندما ذكر متى الإنجيلي مذبحة أطفال بيت لحم التي فعلها هيرودس الملك بعد ميلاد السيد المسيح وبعد زيارة المجوس قال لكي يتم ما قيل بالنبي القائل "صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ"(مت٢: ١٨).

🕮 نبوات عن ميلاد وصلب السيد المسيح وآلامه وقيامته:

يقول إشعياء النبى: "مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟. نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ

فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إش٥٣: ١-٧).

"جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إش٥٣: ١٠)، "حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ" (إش٥٣: ١٢)، "جُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ" (إش٥٣: ٩)، "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً" (إش٥٣: ١٠، ١٢)، "مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ" (إش٥٣: ١٢)، "وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ، وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً" (إش٥٣: ١٢). ففي هذه النبوة يقول "عند موته" ويقول "يقسم غنيمة" بعد ذلك أي بعد قيامته.

ويقول داود النبى: "ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ... يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ... أُخْبِرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ" (مز٢٢: ١٦، ١٨، ٢٢).. فبعد الصلب ظهر السيد المسيح لتلاميذه وأخبرهم عن القيامة المجيدة وكلّمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله.

📖 نبوات عن قيامته، وصعوده للسماء وجلوسه عن يمين الآب:

فعن قيامة الرب يقول إشعياء النبي أيضًا: "مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ" (إش٥٢: ٧). "أَشْبِرِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خَرِبَ أُورُشَلِيمَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ. قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا" (إش٥٢: ٩، ١٠). ألم يتحقق قول الرب كما هو مكتوب "سَأَرْجِعُ بَعْدَ هَذَا وَأَبْنِي أَيْضًا خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأَبْنِي أَيْضًا رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً. لِكَيْ يَطْلُبَ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبَّ وَجَمِيعُ الأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هَذَا كُلَّهُ" (أع ١٥: ١٦، ١٧ – انظر عا٩: ١١، ١٢).

وعن قيامته من الأموات في اليوم الثالث يقول هوشع النبى: "هَلُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ لأَنَّهُ هُوَ افْتَرَسَ فَيَشْفِينَا ضَرَبَ فَيَجْبِرُنَا. يُحْيِينَا

بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ" (هو٦: ١، ٢). لذلك نقول في قانون الإيمان: [وقام في اليوم الثالث كما في الكتب].

وعن صعوده وجلوسه عن يمين الآب يذكر المزمور: "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي" (مز١١٠: ١) والسيد المسيح نفسه حيَّر اليهود بهذه الآية فقال لهم المسيح ابن من هو؟ قالوا له ابن داود فقال لهم فكيف يدعوه داود بالروح القدس قائلاً "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي"؟ فإذا كان ابنه فكيف يكون ابنه وربه في نفس الوقت فتحيّروا ولم يستطيعوا أن يجيبوه، ولكن هذا كله كان تجهيزًا وإعدادًا لفكر وضمير البشرية.

وعن صعوده أيضًا يقول المزمور "صَعِدَ اللهُ بِتَهْلِيلٍ، وَالرَّبُّ بِصَوْتِ البُوقِ" (مز٤٦: ٦).

وعن مجيء يوحنا المعمدان ليعد الطريق للسيد المسيح يذكر لنا سفر ملاخي النبي: "هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ" (ملا٤: ٥، ٦). هذه النبوة قيلت عن يوحنا المعمدان، ويذكرها معلمنا لوقا البشير في إنجيله "وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً" (لو١: ١٧). وقال

عنها السيد المسيح لتلاميذه بعد واقعة التجلي "إِنَّ إِيلِيَّا فَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذَلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ. حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت١٧: ١٢، ١٣) ومعروف طبعًا أن إيليا نفسه شخصيًا سوف يأتي من السماء قبل مجيء السيد المسيح الثاني في يوم الرب العظيم والمخوف. كما أن يوم الرب أيضًا كان في أحداث صلب السيد المسيح وقيامته ومجيء الروح القدس في يوم الخمسين.

ثالثًا : الظهورات

كلما ظهر الرب في العهد القديم كانت هي ظهورات للابن الوحيد الجنس سابقة لتجسده في ملء الزمان من القديسة مريم العذراء. فالذي ظهر لأبينا إبراهيم مع الملاكين عند بلوطات ممرا هو السيد المسيح، لكن كان ذلك قبل التجسد. كذلك الذى ظهر لأبينا يعقوب عند مخاضة يبوق في صورة إنسان وصارعه حتى الفجر، ثم باركه وقال له: "لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟" (تك٣٢: ٢٩) هو أيضًا السيد المسيح قبل التجسد. والذي ظهر لمنوح والد شمشون وقال له: "لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟" (قض١٣: ١٨) ثم صعد في نيران الذبيحة كان هو السيد المسيح قبل التجسد. والأمثلة

كثيرة عن هذه الظهورات السابقة للتجسد، وكلها كانت تمهد لمجيء الابن الوحيد متجسدًا من الروح القدس والعذراء مريم لخلاص العالم. وهذا ما عبّر عنه القديس بولس الرسول بقوله: "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، اوْمِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ" (١تى٣: ١٦). كذلك قال القديس يوحنا الإنجيلي: "فِي الْبَدْءِ كَانَ اللَّكَلِمَةُ وَاللَّكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّكَلِمَةُ اللَّهَ.. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.. واللكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقاً" (يو١: ١، ٣، ١٤).

ومن أقوى ما ورد عن السيد المسيح من ظهورات؛ هو ظهوره لموسى في العليقة المشتعلة بالنار. وقد ورد ذلك في سفر الخروج لموسى النبي كما يلى: "وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!" (خر٣: ٢).

ومما يؤكد أن الظهور في العليقة كان يخص الابن الوحيد هو أنه "مَلاَكُ الرَّبِّ" (خر٣: ٢) وهى باللغة العبرية (ملآخ يهوه) أي سفير يهوه وهذا ينطبق على الله الكلمة وليس على الله الآب, وقوله لموسى بعد ذلك "فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ" (خر٣: ٧، ٨). وقد نزل الرب لخلاص البشرية بتجسد الابن الوحيد في أحشاء العذراء مريم والدة الإله. وبهذا نقول إن الابن هو الذي "أخلى نفسه آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس" (انظر في٢: ٧، ٨). وقال أيضًا لموسى: "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ" (خر٣: ٦)

إن لهيب النار الذي ظهر وسط أغصان العليقة يشير إلى لاهوت السيد المسيح باعتباره الابن الوحيد الجنس أي الذي له نفس جوهر الآب وطبيعته بالولادة من الآب قبل كل الدهور لأنه مكتوب إن "**إلهنا نار آكلة**" (عب١٢: ٢٩). أما أغصان العليقة نفسها فتشير إلى ناسوت السيد المسيح المأخوذ من السيدة العذراء بفعل الروح القدس؛ والذي تكوّن في أحشائها في نفس لحظة اتحاد اللَّه الكلمة بهذا الناسوت. ولكن الناسوت لم يحترق لسبب اتحاده باللاهوت

وبالتالي لم تحترق العذراء مريم حاملة هذا الناسوت المتحد باللاهوت. حقًا إنه شيء عظيم يفوق العقل أن تتحد الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية الخاصة بالسيد المسيح دون أن تحترق هذه الطبيعة الإنسانية بالرغم من التفاوت الهائل في خواص الطبيعتَين، وقد كونتا معًا طبيعة واحدة لتجسد الله الكلمة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير وهذه الطبيعة الواحدة تحمل خصائص الطبيعتين.

وهكذا كلما تأمَّلنا في تدبير الله لملْء الزمان نجد أن كل شيء معد ومُجَهز برموز وإشارات حتى يأتي المخلص..

احتياج شديد لمجيء المخلص

لقد أتى ملْء الزمان في وقت صعب جدًا جدًا. فبعد أيام ملاخي النبي وإلى مجيء السيد المسيح لم يكن هناك أنبياء، وكانت الأراضي المقدسة مستعمرة بواسطة الجيش الروماني، والرومانيون في ذلك الوقت كانوا من الشعوب الوثنية وكان اليهود يدفعون لهم الجزية حتى أن السيد المسيح قال لبطرس: "مَاذَا تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ. فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ مِنَ الأَجَانِبِ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ فَإِذاً الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلَكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمُ اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَاراً فَخُذْهُ

وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ" (مت١٧: ٢٥-٢٧). فحتى السيد المسيح له المجد ملك الملوك ورب الأرباب كان يدفع الجزية للجيش الروماني المستعمِر، ويقول لئلا نعثرهم، أي لئلا يظنوا إننا نريد أن نعمل ثورة ضد النظام القائم. فالسيد المسيح لم يأتِ ليبحث عن مملكة أرضية؛ لكنه جاء فاديًا للبشرية. وقد أتى في وقت صعب جدًا، فزكا رئيس العشارين بعدما تقابل مع السيد المسيح يقول: "هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ فَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لو١٩: ٨) فلماذا؟ لأن العشارين كانوا يجمعون الجزية فكانوا يوشون للجيش الروماني عن أي إنسان كان عنده أموال أو قد زرع أرضًا أو ربح في تجارة، وكان الناس يعيشون في رعب بسببهم.

ولكن تنبأ ملاخي النبي في آخر أصحاح في العهد القديم فقال "وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا" (ملا٤: ٢)، وقد مرت مئات السنين ولم يحدث شيء؛ لأن السيد المسيح لم يكُن قد أَتَى بعد، وكان الشعب في ضيق شديد، فلا يوجد أنبياء, مع أنه كان يوجد في القديم أنبياء مثل إرميا وإشعياء وزكريا وحبقوق وملاخي وعاموس، وقبلهم بالطبع موسى النبي، وقبله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وقصة عبور الشعب في البحر الأحمر

عن يد موسى النبى، وقبلها الضربات العشر، والأمجاد التي صنعها اللَّه معهم، ولكن في السنين التي سبقت تجسد السيد المسيح لم تكُن هناك أية رُؤَى أو نبوات أو إعلانات تدل على أن اللَّه موجود معهم... فكانت هناك حالة من الانتظار بلهفة. متى وأين الخلاص؟! وهناك عداوة بين اليهود والسامرين. والسامرين في الأصل هم من شعب إسرائيل. ولكن قد انشقت المملكة في زمن رحبعام بن سليمان فتجمع عشرة أسباط واتخذوا لهم مدينة السامرة كعاصمة وعبدوا الأصنام. وصارت حروب وصراعات بين المملكتين استمرت من بعد زمن سليمان الملك حتى السبي، وكم كان مقدار المذلَّة والمهانة التي تعرض لها شعب إسرائيل في السبي. وبعد العودة من السبي ابتدأت الآمال تتجدد.. ولكن ما لبث أن وقعت الحروب مع الوثنين في أيام المكابيين وكانت الأوضاع صعبة جدًا ولا يوجد أي أمل... وكأن اللَّه قد تخلى عن أولاده، وكان لسان حال شعب اللَّه يقول: "إِلَى مَتَى يَا رَبُّ، تَنْسَانِي.. إِلَى الانْقِضَاءِ؟ إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟" (مز١٢: ٢). "وَقَالَتْ صِهْيَوْنُ: قَدْ تَرَكَنِي الرَّبُّ وَسَيِّدِي نَسِيَنِي" (إش٤٩: ١٤)، ولكن كان هذا من الظاهر فقط؛ فقد كان اللَّه في تدبيره يعد **ملْء الزمان** الذي كان قد

اقترب موعده. ويجيب الوحي الإلهي على لسان إشعياء النبي أيضًا: "هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسِينَ وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ" (إش٤٩: ١٥).

وهكذا نرى كيف كان الله يعمل ليعد لنا الخلاص في **ملْء الزمان** في وسط قتام الظلام "الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (مت٤: ١٦).

الله يمثل إشراقة الصباح عندما قام؛ قام باكرًا جدًا في فجر الأحد، ويقول الآب عن الابن "مِنَ البطنِ قبلَ كوكبِ الصُبْحِ ولدْتُكَ" (مز١٠٩: ٣)، معناها ولادته من الآب قبل كل الدهور.. ولكن في مجيئه إلى العالم للخلاص بولادته في ملء الزمان كان السيد المسيح هو **كوكب الصبح المنير**.. الذي يظهر بعد ظلمة الليل ويقول في سفر الرؤيا "أَنَا يَسُوعُ، أَرْسَلْتُ مَلاَكِي لأَشْهَدَ لَكُمْ بِهذِهِ الأُمُورِ عَنِ الْكَنَائِسِ. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. **كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ**" (رؤ٢٢: ١٦).

حنة النبية

تأمَّلوا حنة النبية "وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلْبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَاراً. فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ" (لو٢: ٣٧، ٣٨)، فقد ظلت أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل. وذلك في المكان المخصص للنساء، وليس في الأماكن الخاصة بالكهنة. وقد كانت أثناء هذه السنين تَدَرس، وتستمع إلى الصلوات اليومية، والقراءات المقدسة، وتقرأ في الأسفار المقدسة. أي أنها كانت متفرغة للعبادة أربع وثمانين سنة. لذلك عمل الروح القدس في داخلها، في نفس الوقت الذي كانت تعيش فيه كل هذه المعاني التي تتكلم عن مجيء المخلِّص، وميلاد السيد المسيح.

إن الحدث الذي رأته بعينها قد عاشته بقلبها. أي أنها قد رأته بعيني قلبها قبل أن تراه بعينيها الطبيعيتَين. فتقابل الإحساس الذي عاشته في داخلها مع المنظر الذي رأته بعينيها. وعندما يتقابل شيئان يسرى التيار. مثلما يحدث عند غلق الدائرة الكهربائية؛ يسرى التيار. فالروح هو الذي تكلم على لسانها دون أن يُعلِمها أحد.

فتكلمَتْ مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم.. كيف تجمَّع هؤلاء المنتظرين فداءً؟! فما هذا الذي يحدث وكيف تجمعوا في ذلك اليوم؟!

وكأنها قد قامت بمظاهرة فهي تنتظر منذ أربع وثمانين سنة والآن رأت وميض؛ فتكلمَتْ.

سمعان الشيخ

وهكذا أيضًا سمعان الشيخ الذي أطال الله في عمره وربما كان من أيام الترجمة السبعينية التي بدأت في القرن الثالث قبل الميلاد كما يذكر لنا التقليد وكما هو مذكور في التاريخ أن الترجمة بدأت بالتوراة، لأن بطليموس فيلادلفيوس كان يريد أن يعرف القوانين التي تحكُم الجالية اليهودية في الإسكندرية، ليحكم لهم بحسب شريعتهم الخاصة، فالشريعة كلها في التوراة (أسفار موسى الخمسة), وبعد ذلك أكملوا ترجمة العهد القديم كله، وكان ذلك على عدة مراحل. وكما شرح لنا –مثلث الرحمات– قداسة البابا شنوده الثالث, أن الرب قد دبر ترجمة أسفار العهد القديم من اللغة العبرية التي لم تكن منتشرة في العالم إلى اللغة اليونانية التي عُرفت باسم الترجمة السبعينية. وساعدت في إعداد الفكر اليوناني لقبول ما في العهد

القديم من تمهيد لميلاد السيد المسيح في ملء الزمان. وقد كتبت أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية لتنتشر بشارة الإنجيل.

وسمعان الشيخ هذا "**كَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ**" (لو٢: ٢٦)، وتمر الأيام والسنون، وهو ينتظر لكن كان لديه الإيمان أن الإعلان الذي أُعلن له وأُوحِيَ به إِلَيْهِ مِن قِبَل الله سوف يتحقق... "**كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ**" (لو١: ٧٠)، "**كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**" (لو١: ٥٥).

وحينما دخلت السيدة العذراء إلى الهيكل وهى تحمل الطفل يسوع بعد ولادته بأربعين يومًا حمله سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله وقال "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عيني **قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته** قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (انظر لو٢: ٢٩-٣٢). كان سمعان الشيخ قد "أتى بالروح إلى الهيكل" (لو٢: ٢٧) ونطق بهذه الكلمات بوحى من الروح القدس

الذى كشف له أن هذا الطفل هو المسيح مخلِّص العالم. وقال إن عينيه قد أبصرتا خلاص الرب لأنه أبصر الكلمة المتجسد. وإن كان قد أوضح أيضًا أنه هو الخلاص المعد أمام وجه جميع الشعوب، فالخلاص من الناحية الزمنية لم يكن قد اكتمل بعد، ولكنه من ناحية تحقيق الوعد قد بدأ بتجسد الكلمة. والنبوة ترتفع فوق الزمان لأنها بوحى من الروح القدس.

وهكذا نرى أن القلب المشتعل بروح الصلاة والتسبيح يمكنه أن يقتني روح النبوة، كما حدث مع سمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل.

وكما رأينا أن الله قد أعدّ الكثير من الرموز والنبوات على مدى آلاف من السنين، هكذا أيضًا أعدّ الشخصيات وليس فقط النبوات والرموز.. إنها ملحمة رائعة لا يمكن احتواء أبعادها بفكرنا المحدود، ولكننا نقف أمامها مبهورين بما أعده الرب...

لقد قال مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث نيح الله نفسه: [لو لم يكُن هناك سببًا يجعل الله ينتظر كل هذه الآلاف من السنين سوى أنه ينتظر ميلاد السيدة العذراء، تلك التي تستحق أن تكون والدة الإله المتجسد المخلِّص يسوع المسيح، وتحتمل هذه الكرامة دون أن تضيع بالكبرياء؛ فهذا سبب كافي].

من أقوال قداسة البابا شنوده الثالث

كان ملء الزمان ينتظر هذه الفتاة القديسة.
آلاف من النساء وُجدن على الأرض. كل واحدة منهن كانت تشتهي أن يولد منها المسيح .. ولكن الرب لم يحل في أحشاء أية واحدة من كل تلك الآلاف من النساء.
يكفي أنها الوحيدة من نساء العالم كله
على مر الأجيال التي اختارها الرب لكي تكون والدة له.
وهي التي انتظرها ملء الزمان.

الممتلئة نعمة

لقد جاء ملْء الزمان عندما جاءت الممتلئة نعمة التي بسبب طاعتها وتواضعها قد اطّلع الآب من السماء فلم يجد من يشبهها، أرسل وحيده أتى وتجسد منها. ما أروع قولها للملاك جبرائيل "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨) جاء رسول السماء ليبشر العذراء مريم وليبشر العالم كله ببشارة الخلاص المحيية. منذ زمن طويل، والملائكة تنتظر أن تحمل هذه البشارة للبشرية. ولكن لم تصدُر الأوامر الإلهية بعد. ولم تكن قد وُجِدَت من تستحق أن تصير إناءً يحمل الإله المتجسد الأقنوم الثاني، ويأخذ منها المسيح جسدًا ليفتدي به البشرية. لقد انتظرَت السماء طويلاً حتى أتى ذلك اليوم، وانتظرَت البشرية أيضًا طويلاً حتى اختار الله

تلك الممتلئة نعمة التي "وجدتَ نعمةً عند اللَّه" (لو١: ٣٠) ويقول عنها المزمور: "اسْمَعِي، يا ابنتِي، وانْظُرِي وأَمِيلِي أُذُنَكِ، وانْسَيْ شَعْبَكِ وبَيْتَ أَبِيكِ؛ فإنَّ المَلِكَ قد اشتهى حُسْنَكِ، لأنه هو ربُّكِ. ولهُ تسجُدِينَ" (مز٤٤: ١٠، ١١). لا شك أن اللَّه قد وجد في العذراء الصفات المختارة حتى إنه اشتهى أن يأتي ويتجسد في أحشائها. هذا اليوم فرحت فيه الملائكة، وفرح فيه قلب اللَّه الآب. وفى هذا اليوم أطاعت البشرية الرب الإله طاعةً عجيبةً ممثلةً في قبول العذراء بحرية إرادتها لهذا الصليب الذي ستحمله إذ تلد ابنًا بدون زرع بشر وتصير عُرضة للشك والتعيير والهوان. وها هي ابنة إبراهيم تقدم طاعةً مرضيةً للآب. متمثلة بالطاعة التي قدَّمها إبراهيم بالنية عندما أطاع في أن يذبح ابنه إسحاق. وها هي ابنة إبراهيم تُقدِّم إرادتها على مذبح الطاعة وتقول: "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو١: ٣٨). وفى تلك اللحظة التي فيها قَبِلت العذراء بشارة الملاك، وقدَّمت إرادتها على مذبح الطاعة فُتحت السماء وتعانقت مع الأرض. وللمرة الأولى ليس أقول فقط في تاريخ البشرية، ولكن **للمرة الأولى منذ الأزل تتعانق الطبيعة الإلهية مع الطبيعة البشرية**، حين أتى الأقنوم الثاني إلى أحشاء البتول، هذا

هو بداية أعظم حدث في التاريخ منذ الأزل وإلى الأبد لم يحدث مثله ولن يحدث وهو حدث التجسد والفداء بكل مراحله. في ذلك الحدث أطاعت حواء الجديدة إرادة الله، لتفتح الباب لتحقيق الوعد الإلهي بالخلاص عوضًا عن عصيان حواء الأولى والذي جلب الموت على البشرية. وهنا اتحد اللاهوت بالناسوت وأتى ابن الله لكي يصنع خلاصًا وفداءً للبشرية هذه هي العذراء مريم الممتلئة نعمة، يحل الروح القدس عليها ليطهرها ويقدسها ولكي يتجسد منها الله الكلمة، فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: "سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" (لو ١: ٢٨)، ونلاحظ أن الملاك قال لها: اَلرَّبُّ مَعَك ومُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ قبل أن يتجسد في بطنها الله الكلمة... لقد كانت العذراء مريم "جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ" (نش ٤: ١٢)، داخلها أسرار كثيرة مكتومة. ولا تشغلها الأمور الخارجية؛ لأن

الإنسان المملوء من الداخل لا تشغله الأمور الخارجية، ونتيجة التعزيات والفرح لا تجذبه الأمور الزمنية. كانت العذراء مريم مملوءة نعمة ودائمة الوجود في حضرة الله؛ لذلك لم تجد صعوبة في طاعته وقالت للملاك: " هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ" (لو ١: ٣٨) وبهذا أصبح الله حاضرًا في داخلها... الله يقودها في حياة البر والنعمة وهي بدورها تقبل إراديًا أن يحل السيد المسيح في أحشائها.

وهكذا كل إنسان يستطيع أن يعيش أحداث هذه البشارة المجيدة. في كل يوم يُقدِّم فيه إرادته للّه ويصنع مشيئته، حينئذٍ تتحد الإرادتان ويعيش السيد المسيح في داخله، ويعمل إرادته حتى يتمم عملاً صالحًا قد سبق ودبره في مقاصده.

وفي متابعتنا لقصة البشارة والميلاد نجد أنه ليس الملاك جبرائيل فقط الذي قال لها مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ؛ ولكن أليصابات أيضًا قالتها ثانية. "فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ!" (لو ١: ٤١-٤٢).. صرخت أليصابات.. هذه الصرخة هزت العالم كله.. هزت السماء والأرض وقالت: **مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي**

النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! هذه أنشودة.. ترنيمة تُكرر من جيل إلى جيل وهذا هو القرار.. "**مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ**".

يوسف البار

انتظر اللَّه حتى تكمل النبوات ويهيئ ضمير البشرية لقبول فكرة الفداء؛ ثم تأتي العذراء مريم في ملْء الزمان –في الزمن المحدد– فمجرد وجود العذراء مريم في الوقت المناسب دون أن يتدخل اللَّه في حرية إرادة الإنسان هذا في حد ذاته عمل خارق تتحير له العقول وقد أرسل الله الآب ليستأذنها قبل أن يتجسد منها ابنه الوحيد. ومما يزيد العجب أنه في الوقت الذي تتواجد فيه العذراء ابنة داود والتي قيلت عنها نبوات كثيرة يولد قبلها بوقت كافٍ يوسف البار لكي يكون خطيب للعذراء مريم دون أن يتدخل اللَّه أو يلغي حرية إرادته إنما فقط يتدخل بلمسات معينة بأن يرشده ليتمم أمرًا ما؛ وهو بحرية إرادته يقبل مشورة اللَّه أو يرفضها, كما أرشده اللَّه أن يخطب العذراء مريم, وأيضًا أن يأخذ الصبي وأمه ويذهب إلى مصر وكان يكفي وجود قلب مستعد لقبول الأمر الإلهي وأن يقبل أن يدخل كحلقة من حلقات خطة الخلاص العامة ويتمم المقاصد الإلهية. ويوسف خطيب العذراء مريم هو رجل شيخ بتول قديس أطاع كلام اللَّه, وآمن

بالحبل من الروح القدس في بطن العذراء, وأيضًا أخذ الرسالة وسافر إلى مصر واحتمل مشقة الرحلة وهو نجار, ولكنه ترك كل شيء وسافر.

أعظم مواليد النساء من الأنبياء

شخصية أخرى وهو القديس يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء من الأنبياء كان الله يقوده في حياة البر والنعمة وهو بدوره يقبل إراديًا.. وقد قال عنه السيد المسيح: "إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (لو٧: ٢٨)، والأصغر أي السيد المسيح الذي كان أصغر من القديس يوحنا المعمدان حسب الجسد بستة أشهر تقريبًا. فالسيد المسيح ليس مجرد نبي بل هو الإله المتجسد، ولذلك يذكُر الكتاب على لسان القديس يوحنا المعمدان "الَّذِي بَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي" (يو١: ١٥)، أي أن السيد المسيح بحسب لاهوته مولود من الآب قبل كل الدهور فهو كائن قبل أن يوجد يوحنا، ولكنه يأتي بعده بستة أشهر بحسب الجسد. ولكن لا يوجد أعظم من القديس يوحنا المعمدان في كل مَن جاءوا قبل السيد المسيح من الأنبياء.. فقد وُلِد من بطن أمه وهو نبي "مِنْ

بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لو١: ١٥)، ونال شرف أنه سمع صوت الآب السماوي، وأن يُعمِّد الابن الوحيد في نهر الأردن، وأن يرىَ علامة حلول الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وهو يحل على رأس السيد المسيح عند خروجه من الماء. والقديس يوحنا المعمدان هو شهيد للحق. ذاك الذي قال "يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يو٣: ٣٠)، فلا يوجد إنسان باستثناء السيدة العذراء مريم فقط في البشرية جميعها، متواضع بقدر القديس يوحنا المعمدان؛ ومن أجل ذلك سوف يجلس عن يسار السيد المسيح في مجده والسيدة العذراء عن يمينه، حتى إنه عندما جاءت أم القديس يوحنا الحبيب ويعقوب الرسول ابني زبدي إلى السيد المسيح لكي تطلب منه أن يجلس ابناها عن يمينه ويساره في مجده فأجابها قائلاً "أَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي" (مت٢٠: ٢٣)، وقال عنه السيد المسيح: "أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ" (مت١١: ٩)، "مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟.. لَكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ" (لو٧: ٢٤، ٢٦).

فقد أخَّر اللَّه ولادة القديس يوحنا المعمدان خصيصًا حتى يولَد قبل السيد المسيح بستة أشهر؛ حتى إن زكريا الكاهن لم يصدق الملاك جبرائيل عندما قال له: "لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا" (لو ١: ١٣)، فقال للملاك: "كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا. فَأَجَابَ الْمَلاَكُ أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللَّهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ" (لو ١: ١٨-٢٠).

زكريا الكاهن

زكريا الكاهن من نسل هارون استحق أن يكون أب أعظم شخصية بين البشر من الأنبياء الرجال قبل السيد المسيح، زكريا هذا "ظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ

يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ" (لو١: ١١-١٤). وعند ميلاد يوحنا المعمدان حل عليه الروح القدس، بعد أن كان صامتًا ففتح فاه وبارك الله قائلاً: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. خَلاَصٌ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ. الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا. أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ. بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا" (لو١: ٦٨- ٧٥).

فالروح القدس كان يعمل في أشخاص كثيرين وقت أحداث الميلاد، وقبله وخلاله وبعده. فزكريا الكاهن لم يغفل عن أن يذكُر أن الله يحقق وعوده كما تكلم بفم أنبيائه منذ الدهر حتى لا يظن أحد أن الله قد نسيَّ وعوده، بسبب وجود الصورة الحزينة التي كانت في ذلك الوقت، ولأنه قد مرت مئات مِن السنين منذ أن ختم ملاخي النبي العهد القديم وقال: "وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ" (ملا٤: ٢) ولم يكن قد حدث شيء من النبوات طوال هذه الفترة.

لكن عندما جاء **ملْء الزمان**... عندما جاءت السيدة العذراء مريم وجاء القديس يوحنا المعمدان، وهذا هو العجب أن يأتيا معًا في زمنٍ واحد، فالسيدة العذراء مريم، والقديس يوحنا المعمدان شخصيتان قد غيّرتا تاريخ البشرية كلها.

إن حدث ميلاد السيد المسيح، ومجيئه إلى العالم، هو بداية تحقيق وعد الله لخلاص البشرية. فقال زكريا أبو يوحنا المعمدان "**مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ**" (لو١: ٦٨، ٦٩) لأن الله قد تذكر وعده المقدس، لذلك فإن اسم "زكريا" معناه "الله تذكّر"، واسم "يوحنا" يعنى "الله تحنن"، واسم يسوع يعنى "الله خلّص". أي أن: زكريا– يوحنا– يسوع؛ بهذا الترتيب: **الله قد تذكّر.. الله قد تحنن.. الله قد خلّص**. ولذلك أكمل زكريا وقال: "**لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ**" (لو١: ٧٢). سيمفونية تحكيها الأسماء.. تحكيها الأحداث. وهذا هو **ملْء الزمان**.

عندما يتأخر اللَّه في استجابة الصلاة، يجب ألاَّ نظن أنه تخلّى عنا. لكنه يأتي في الوقت المناسب ويصنع عجبًا. وكلما تأخّر في الاستجابة؛ كلما كان عمله أوضح وأقوى

فنتيقن أنه عمل اللَّه وليس صُدفة.. يستجيب في اللحظة الحاسمة، وفي أكثر وقت مناسب للاستجابة.

وماذا أيضًا في خطة الله من أجل ملْء الزمان؟!

جماعة الرعاة

"وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ. وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ" (لو٢: ٨، ٩) ومعنى أن ملاك الرب وقف بهم أي أنه وقف أمامهم على الأرض وأضاء مجد الرب حولهم على الأرض. لقد اجتذب حدث الميلاد جماهير السمائيين نحو كوكب الأرض، واستطاع الساهرون من الرعاة أن يسمعوا تسابيح السمائيين، وكأن الأرض قد تحولت إلى سماء. ظهر ملاك ثم جمهور من الجند السماوي... فلماذا هؤلاء خصيصًا الذين ظهرت لهم الملائكة في ليلة الميلاد؟ فما الذي كان يفعله هؤلاء الرعاة في ذلك الوقت حتى يجتذب الملائكة من السماء بهذه الطريقة؟ إن هناك فرق بين راعٍ ساهرٍ على حراسة الرعية، وبين راعٍ يبدد الرعية. فإلى جوار أنهم كانوا ساهرين، فإنهم كانوا يبحثون عن الخلاص.

إن هؤلاء الرعاة كانوا ينقادون بالروح القدس، فما الذي كان من الممكن أن يتحدثوا فيه أثناء سهرهم ليلاً؟ من المؤكّد أنهم كانوا يتحدثون ويتباحثون في النبوات وفي الأسفار المقدسة. فمثلاً من الممكن أن يقولوا إن لهم زمانًا طويلاً يرعون الأغنام التي تُقدَّم منها ذبائح كثيرة ويأتون بها مِن مراعي بيت لحم –وهى المنطقة التي كان داود الملك يرعى بها– إلى الهيكل في أورشليم (دخولاً في الأسوار الخارجية من باب الضأن) وهم في حالة انتظار للمخلِّص الآتي.. وهذه الذبائح ترمز إلى الخلاص الذي وعد به الله. لكن متى سيأتي المخلِّص؟!

إن اللَّه يعلن أسراره لمَن ينتظره أو يترجاه أو يبحث عنه، ولكن الذي لا يهتم، فلماذا يعلن له؟!! هذه هي طريقة اللَّه أن يعمل في الأرواح المشتاقة إليه.

يقول الكتاب إن حنّة بنت فنوئيل تكلمَتْ عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم. فهؤلاء الرعاة كانوا ينتظرون مجيء المخلِّص، وبالأخص أنهم كانوا في بيت لحم اليهودية مدينة داود، ومن المعروف أن السيد المسيح هو من نسل داود حسب الجسد، لذلك فهؤلاء الرعاة كانت المزامير هي تسليتهم. ومن المحتمل أنهم كانوا يسبحون الهوس الأول (تسبحة مريم النبية أخت موسى وهارون)

عندما قالت: "رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ! الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ!" (خر١٥: ٢١).. أيضًا قفوا وانظروا خلاص إلهنا.. الرب يدافع عنكم وأنتم تصمتون، وكذلك الهوس الثاني "اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (مز١٠٧: ١)، والثالث "مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا وحمد ورفيع إلى الدهور ومبارك اسم مجدك القدوس ورفيع الى الدهور" (دا٣: ٥٢) ، والهوس الرابع "هَلِّلُويَا. سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي"، وتسبحة الثلاثة فتية في آتون النار.. حنانيا وعزاريا وميصائيل.. وتسابيح من سفر إشعياء النبي "لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ" (إش٩: ٦), "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»" (إش٧: ١٤).

إن التسبحة التي نقولها في كل ليلة في الكنيسة مليئة في أجزاء كثيرة بالمزامير والتسابيح والنبوات التي تتحدث عن الخلاص، وعن عمل الله في حياة البشر.

إن الرعاة بكل تأكيد كانوا يُسبِّحون، لذلك عندما كانت هناك تسبحة على الأرض، جاءت الملائكة من السماء ليشاركوا الأرضيين فيقول

الكتاب "وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ **مُسَبِّحِينَ اللَّهَ** وَقَائِلِينَ: المجد للَّه في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو٢: ١٣-١٤). ومعنى أن هذا الجمهور من الملائكة قد ظهر مع الملاك الذى وقف بهم على الأرض أن هؤلاء الملائكة قد اقتربوا جدًا من الأرض حول الرعاة بدليل قول الإنجيل "وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ" (لو٢: ١٥) أي أنهم سبحوا على الأرض ثم مضوا إلى السماء.

فمَن يريد أن يحيا مع الملائكة حياة الصداقة والعشرة الحقيقية، يجب أن تمتلئ حياته بالصلاة، والتسبيح، والتأمل في الأسفار المقدسة. ومن يريد أن تعلن له الملائكة أسرار وأفراح سماوية عليه أن يهتم بالتسبحة.. القلوب المشغولة بالسماء والأبدية ويسوع المسيح نفسه، هي القلوب التي تعرف أسرار اللَّه وتسلك في طريق الملكوت. إن هذه القلوب الساهرة المنتظرة المترقبة عمل اللَّه؛ هي التي سيرسل اللَّه إليها ملائكته. فاللَّه لم يرسل ملائكته إلى الأشخاص المترفهين أو المتنعمين. بل أرسل إلى أناس يجلسـون في العراء، وهم ساهرين على رعاية أغنامهم. وهذه هي أهمية السهر في الحياة الروحية، وأهمية السهر في الصلاة، وأهمية السهر في الكنيسة والتسبيح.

"وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هَذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ" (لو٢: ١٥) قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ لأن ها هو رب السماء نفسه طفلاً مولودًا موضوعًا في مذود لأن الملاك قال لهم: "فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعاً فِي مِذْوَدٍ" (لو٢: ١٠-١٢) وهذا الفرح العظيم هو ما كانوا ينتظرونه في وسط الجو الحزين، حيث كان الله يدبر ويعمل لأجله.

المجوس

المجوس أشخاص حكماء في بلاد المشرق. وكان عملهم رؤية الأفلاك، وحساب الأزمنة.. وهم يمثلون الأمم وقد كان لديهم نبوة من أيام دانيال النبي الذى عينه الملك كبيرًا للمجوس بعد أن فسر له أحلامه أثناء وجود دانيال في السبي "فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعاً يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الأَزْمِنَةِ" (دا٩: ٢٥)، أي أنه من خروج الأمر بتجديد أورشليم حتى يأتي المسيح الرئيس ٦٩ أسبوع من السنين أي ٤٨٣ سنة ولكن السيد

المسيح لم يبدأ خدمته إلاَّ في سن الثلاثين بعد مسحه بالروح القدس في نهر الأردن كما ذكر دانيال أيضًا "لِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ" (دا٩: ٢٤)، فبطرح ٣٠ سنة من ٤٨٣ سنة يكون عدد السنين ٤٥٣ وهذا هو بالفعل عدد السنين بالضبط من خروج الأمر بتجديد أورشليم في عهد كورش الملك حتى ميلاد السيد المسيح ٤٥٣ سنة. وكان هذا هو **ملْء الزمان**. فقد كانوا يترقبون مجيء المخلِّص حسب هذه النبوة، كانوا يترقبون ظهور علامة لهم. لذلك ظهر لهم ملاك في صورة نجم. أي كائن سماوي كان يتحرك وغير ثابت ويتحرك من الشرق إلى الغرب في عكس اتجاه حركة النجوم بالنسبة للأرض. فإن كان هذا نجمًا عاديًا في السماء، سيكون بعيدًا جدًا وكان غير ممكن أن يحدد مكان البيت الذي فيه الصبي يسوع مع مريم أمه بالتحديد. ولكن هذا النجم جاء ونزل فوق حيث كان الصبى. لقد كان هذا ملاكًا وليس نجمًا عاديًا. ولكن لأنهم يرصدون حركة النجوم، فقد رأوا هذا النجم أنه نجم غريب. ورأوا علامات مميزة ففهموا أنه نجم لملك عظيم، أو أنه ملك كبير في الأرض وأنه المسيح ملك اليهود حسب نبوة دانيال كبير المجوس الذى ترك لهم هذه النبوة في السفر الذى كتبه واحتفظوا بنسخة منه.

كان الروح القدس يعمل في المجوس كما كان يعمل مع الرعاة ولكن ليس بنفس الطريقة. كان يتدرج معهم وذلك من خلال الأمور التي كانوا يستطيعون فهمها. إن الله كان يتعامل مع المجوس على حسب تفكيرهم؛ لذلك ظهر لهم الملاك على هيئة نجم وعندما قادهم إلى بلاد اليهودية، ذهبوا إلى العاصمة أورشليم وإذا النجم قد اختفى. وهنا بدأوا يسألون الناس، وذهبوا إلى هيرودس الملك يسألون "أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ" (مت٢:٢) واضطرب هيرودس وقرر أن يقتل هذا الطفل المولود الذي سوف يأخذ المُلك منه وذلك حسب نظرته للعالم. ولكن السيد المسيح قال لبيلاطس: "مملكتي ليست من هذا العالم" (انظر يو١٨: ٣٦). فعندما خرج المجوس من عند الملك هيرودس ظهر لهم النجم مرة أخرى. وهنا بدأ الإعلان السماوي يرجع لقيادتهم مرة أخرى. وعندما وصلوا إلى البيت نزل النجم الذي كان يقودهم ثم اقترب من البيت. فعرفوا أن المولود هو ملك اليهود أو ملك ملوك الأرض أو ملك الملوك ورب الأرباب في السموات وما على الأرض. وقد أشار سفر دانيال أيضًا إلى الحجر الذي بدون قطع يد الذى صار جبلاً عظيمًا (انظر دا ٢: ٣٤، ٣٥).

إن الروح القدس قد تدرج مع المجوس. ففي البداية أرشدهم إلى اختيار أنواع الهدايا التي يقدِّمُونها ثم ظهر لهم نجم لكى يرشدهم إلى الطريق. ولكن بعد أن سجدوا للسيد المسيح الإله الكلمة ومخلِّص العالم. بدأت علاقة الله معهم تكون أقوى من الأول، وبدأ الله يتعامل معهم بإعلانات سماوية واضحة فيقول الكتاب: "ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ" (مت٢: ١٢). وذلك لأن هيرودس كان يريد قتل الطفل، ولكن الله أوحى إليهم أن ينصرفوا في طريق آخر. وبذلك نرى أن الرب قد بدأ يعمل في حياتهم بصورة أقوى عن طريق الوحى في الحلم. وهذا معناه أن الله يدعو الأمم إلى معرفته عن طريق مجيء السيد المسيح إلى العالم. لقد تحول هؤلاء المجوس من حكماء يبحثون عن الحقيقة إلى مَن يستقبلون الوحى.

ولكن معرفة الله عبر العصور كانت أيضًا مهيئة للأمم لهذا قال معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية عن عبدة الأصنام: "إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ. لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ" (رو١: ١٩، ٢٠).

إن الذي يبحث عن الحق في كل زمان ومكان لا بد أن يصل إلى سماع صوت اللَّه وإلى معرفته. وكذلك من يحرص على قراءة الأسفار المقدسة بروح الخشوع والتضرع والاستماع إلى صوت الرب. يفتح الرب ذهنه ليفهم الكتب والمقاصد الإلهية ويمتلئ من الحكمة بفعل الروح القدس.

وماذا أيضًا في خطة الله من أجل ملْء الزمان؟

هيرودس الملك

وجود هيرودس الملك الذي يَستخدِم مكره مع المجوس ويقتل الأطفال كما يذكر الكتاب: "صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ" (مت٢: ١٨).

فعندما أتى المجوس قال لهم هيرودس الملك بمكر "اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ" (مت٢: ٨) ولكنه كان يريد قتله لأن الكتاب يقول "حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ

الْمَجُوسِ" (مت٢: ١٦)، وقد فعل ذلك مع أنه أولاً كان قد جمع كل رؤساء الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح فَقَالُوا لَهُ: "فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ" (مت٢: ٥-٦). فعجيب هو هذا الإنسان إنه يؤمن بالنبوة وبكلام الله ويسأل عنه، ولكنه في نفس الوقت يريد قتل السيد المسيح وتغيير مسار هذه النبوة ويدخل في تحدى مع الله نفسه. ونرى السيد المسيح وهو الإله القدير لم يستخدم سلطانه الإلهي في الدفاع عن نفسه إنما هرب من وجه الشر.

عندما نشعر أن اللَّه يريد شيئًا ونعرف مشيئته، يجب علينا ألاَّ نقاومها؛ لأن مشيئة اللَّه لابد أن تَنفُذ.

عندما هرب السيد المسيح من بيت لحم؛ ذُبح جميع الصبيان من سن سنتين فما دون، أي مَن هم في مثل عُمر السيد المسيح. ولو ذُبح السيد المسيح بعودة المجوس إلى هيرودس لعاش كل أطفال تلك المدينة. وكان ذلك رمزًا عن خلاص البشرية لأن صلب السيد المسيح هو الذي ينقذ البشرية من الموت الأبدي، وعدم صلبه يؤدى إلى هلاك كل البشرية.

وقد كان هروب السيد المسيح إلى مصر بتدبير إلهي؛ ليهز مملكة الشيطان القوية في مصر ويمهد الطريق لانتشار المسيحية فيها حيث هزم السيد المسيح مملكة الوثنية ومعابد الشياطين فيها.. وليتحقق قول الرب بفم إشعياء النبى: "هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (اش١٩: ١)، وأيضًا قوله بعد ذلك: "مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ" (إش١٩: ٣٥) بعد أن يؤسس الكنيسة المصرية.

لقد اختار الرب أرض مصر لكى يباركها، ولكى يضع بنفسه فيها حجر أساس الإيمان للكنيسة المقدسة التي سوف تحفظ الإيمان المسيحي المستقيم إلى مجيئه الثاني. ولكي يتحقق قول إشعياء النبي في نبوته: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُمِهَا" (أش١٩: ١٩).

وعند عودة السيد المسيح إلى أرض إسرائيل بعد موت هيرودس تحققت النبوة التي تقول: "مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (هو١١: ١، مت٢: ١٥)..

ولهذا كله كان وجود شخص مثل هيرودس الملك، هو أيضًا من ضمن تدبير الله في **ملْء الزمان**.. فكيف تجمعت هذه الشخصيات كلها معًا في نفس الوقت؟!

بيلاطس البنطي

لم يحدث مُطلقًا في التاريخ أن حكم قاضٍ بالبراءة والإعدام في نفس الوقت وعلى نفس الشخص!..

بيلاطس البنطي ذلك هو الحاكم الروماني الذي حكم بالبراءة والإعدام على نفس الشخص في جلسة واحدة وقال: "**إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ**" (مت٢٧: ٢٤)، لأن كلمة البار تعني البراءة، ودم تعني أنه سوف يسفك دمه إلى الموت. إعدام وبراءة في نفس الجلسة؟! إعدام وبراءة من نفس القاضي وعلى نفس المحكوم عليه وفى جلسة واحده؟! كيف ذلك يا بيلاطس! ألم تقُل لك امرأتك "**إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ لأَنِّي تَأَلَّمْتُ الْيَوْمَ كَثِيراً فِي حُلْمٍ مِنْ أَجْلِهِ**" (مت٢٧: ١٩). فكيف تقول إني بريء من دم هذا البار وأنت الذي حكمت عليه بالصلب؟ فلماذا فعل ذلك؟ لأنهم قالوا له: " **إِنْ أَطْلَقْتَ هَذَا فَلَسْتَ مُحِبّاً لِقَيْصَرَ**" (يو١٩: ١٢) وسوف نشكوك إلى قيصر فخاف على ضياع منصبه ولم يهمه صلب السيد المسيح

"فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئًا بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ. أَبْصِرُوا أَنْتُمْ", فقالوا "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا" (مت٢٧: ٢٤, ٢٥). وكل أحد من الموجودين في هذه المحاكمة أدى دوره بدون إرغام.. بإرادته وحريته الكاملة.

أمر عجيب، فعندما ندرس نظرية الاحتمالات في الرياضيات كيف أنه كلما زاد عدد المتغيرات المطلوب حدوثها في آن واحد يقِل الاحتمال جدًا؛ فلكي يجتمع في زمن واحد العذراء مريم، ويوحنا المعمدان، وهيرودس الذي عمل مذبحة الأطفال، وهيرودس الثاني الذي كان في أيام السيد المسيح وقتَل يوحنا المعمدان، ويهوذا، وقيافا، وحنانيا، وملخوس.. إنه لأمر عجيب. فالله يدير الكون وقد جاء ملْء الزمان والشخصيات المطلوبة متوفر منها عدد يكفى لإتمام الخطة التي رتبها بسابق علمه ولم تأتِ صدفة، ولكن بسابق علم الله مع تدبيره ومشورته المحتومة دون أن يرغم أحد على صنع الخير أو صنع الشر.

هيرودس الثاني

شخصية هيرودس الثاني الذي عاصر السيد المسيح بعد بداية خدمته (وهذا غير هيرودس الذي قتل أطفال بيت لحم) وهو الذي قطع رأس يوحنا المعمدان. ولما ابتدأ السيد المسيح يعمل معجزات قال عنه "**هَذَا هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي فَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ!**" (مر٦: ١٦)، هيرودس هذا شخصية عجيبة جدًا لم يحكم على السيد المسيح؛ لأن عقوبة الإعدام عند الرومان لمن لا يحمل الجنسية الرومانية هي الصلب أما عند اليهود فإن عقوبة التجديف هي الرجم. ولكن لأن سفر التثنية أشار إلى أن المعلق المعلَّق على خشبة هو ملعون من الله (انظر تث٢١: ٢٣)، لذلك لم يحكم هيرودس على السيد المسيح. وهيرودس هذا كان يهوديًا؛ فإذا حكم كان سيحكم بالرجم وليس بالصلب.. والسيد المسيح حمل لعنة خطايانا وسمرها بالصليب وأعلن الآب أنه بار وقدوس بإقامته من الأموات كما قال بطرس الرسول "**الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَافِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ**" (أع٢: ٢٤) كما أنه قام بقوة لاهوته؛ لأن للآب والابن والروح القدس قدرة إلهية واحدة. وقد كان لهيرودس هذا دور في الأحداث.. فكان يستمع ليوحنا كل يوم بسرور، **كان يسمع الوعظ لكنه لا يريد أن يتوب**... شخصية عجيبة جدًا!! يقول عنه الكتاب:

"لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ: "لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ!" .فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ. لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِماً أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ فَعَلَ كَثِيرًا وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ" (مر٦: ١٧-٢٠).

يوجد من يسمع الوعظ؛ تتغير حياته ويرجع إلى اللَّه بكل قلبه, ويقول هذه العظة غيرت حياتي.. حياتي أصبحت كلها للَّه، وهناك أناس متخصصون في سماع الوعظ ويبكِّرون في الذهاب إلى الكنيسة ولا يتأثرون بكلام اللَّه ولا توجد ثمرة لهذا الوعظ كل هذه السنين!

هكذا لم تؤثر كلمات يوحنا المعمدان في نفس هيرودس ولم تأتِ بثمرة.. وفي عيد ميلاده ذبح لسان الحق.. وبعد ذلك ذبح اليهود الحق نفسَه –السيد المسيح– بحسب الجسد، لأن الحق لا يمكن أن يموت ونقول قدوس اللَّه قدوس القوي قدوس الحي الذي لا يموت الذي صُلب عنا ارحمنا.

وكان لا بد ليوحنا أن يُكمِّل رسالته وشهادته بالاستشهاد لأنه قال: "مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ" (يو٣: ٢٩). أي اختفى يوحنا

المعمدان لكي يستلم العريس المسيح كنيسته بعد أن شهد له يوحنا بأنه هو ابن الله وحمل الله الذي يحمل خطية العالم.

يهوذا الإسخريوطي

ملْء الزمان ارتبط أيضًا بوجود يهوذا الإسخريوطي الذي قال عنه يَسُوعُ: "أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ الاِثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!" (يو٦: ٧٠) اختار السيد المسيح يهوذا الإسخريوطي وهو يعرف أنه سيسلمه لكن مع ذلك حذَره وقال له "إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْراً لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ" (مت٢٦: ٢٤). ورغم أن الله يعرف ماذا سيفعل يهوذا؛ لكنه نصحه وحاول أن يمنعه وحذّره وعامله بلطف، ومع ذلك أصرّ يهوذا على خطيته وحصد النتيجة. لقد شاهد معجزات السيد المسيح ورآه ماشيًا على الماء وكان مع التلاميذ حينما سجدوا له وقالوا: "بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!" (مت١٤: ٣٣)، وقد غسل السيد المسيح قدمَيه لكنه لم يتناول من الإفخارستيا في العشاء الرباني.

ولكن يهوذا لم يسمع لكلام السيد المسيح وتحذيراته وسلّمه ووقتها قال له أبقبلة تُسلم ابن الإنسان؟ أبقبلة يا يهوذا؟!

وقال عنه المزمور: "لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي إِلْفِي وَصَدِيقِي. الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللَّهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ. أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ" (مز٥٥: ١٢-٢٣).

وقد رتبت الكنيسة احتفالاً ضخمًا جدًا لخيانة يهوذا لكي تحذرنا من الخيانة.

ويقول عنه مزمورًا آخر: "لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ. تَكَلَّمُوا مَعِي بِلِسَانٍ كَذِبٍ. بِكَلاَمِ بُغْضٍ أَحَاطُوا بِي وَقَاتَلُونِي بِلاَ سَبَبٍ. بَدَلَ مَحَبَّتِي يُخَاصِمُونَنِي. أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ. وَضَعُوا عَلَيَّ شَرّاً بَدَلَ خَيْرٍ وَبُغْضاً بَدَلَ حُبِّي فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيراً وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ عَنْ يَمِينِهِ. إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِباً وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّةً" (مز١٠٩: ٢ -٧) صلاته فلتكُن خطية؛ لأنه من المؤكَّد أنه قد صلَّى قبل أن ينتحر لكي يعطيه الله الشجاعة ليتمم عمله.. فحُسبت صلاته خطية؛ لأنها تحدي لإرادة الله الذي كان يريد توبته لذلك قال السيد المسيح: "كَانَ خَيْراً لِذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!" (مر١٤: ٢١). ويكمل المزمور ١٠٩ قائلاً: "لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ" (وقد أخذ وظيفته متياس الرسول) "لِتَكُنْ

بَنُوهُ أَيْتَاماً وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً" لأنه انتحر فأصبحت زوجته أرملة وأولاده أيتامًا.. "وَيَلْتَمِسُوا خُبزاً منْ خرَبهمْ. لِيَصْطَدِ الْمُرَابِي كُلَّ مَا لَهُ وَلْيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعَبَهُ. لاَ يَكُنْ لَهُ بَاسِطٌ رَحْمَةً وَلاَ يَكُنْ مُتَرَأِّفٌ عَلَى يَتَامَاهُ لِتَنْقَرِضْ ذُرِّيَّتُهُ. فِي الْجِيلِ الْقَادِمِ لِيُمْحَ اسْمُهُمْ. لِيُذْكَرْ إِثْمُ آبَائِهِ لَدَى الرَّبِّ وَلاَ تُمْحَ خَطِيَّةُ أُمِّهِ لِتَكُنْ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِماً وَلْيُقْرَضْ مِنَ الأَرْضِ ذِكْرُهُمْ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنْ يَصْنَعَ رَحْمَةً بَلْ طَرَدَ إِنْسَاناً مِسْكِيناً وَفَقِيراً وَالْمُنْسَحِقَ الْقَلْبِ لِيُمِيتَهُ. وَأَحَبَّ اللَّعْنَةَ فَأَتَتْهُ وَلَمْ يُسَرَّ بِالْبَرَكَةِ فَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ. وَلَبِسَ اللَّعْنَةَ مِثْلَ ثَوْبِهِ فَدَخَلَتْ كَمِيَاهٍ فِي حَشَاهُ وَكَزَيْتٍ فِي عِظَامِهِ. لِتَكُنْ لَهُ كَثَوْبٍ يَتَعَطَّفُ بِهِ وَكَمِنْطَقَةٍ يَتَنَطَّقُ بِهَا دَائِماً. هَذِهِ أُجْرَةُ مُبْغِضِيَّ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأُجْرَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ شَرّاً عَلَى نَفْسِي. أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ السَّيِّدُ فَاصْنَعْ مَعِي مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ. لأَنَّ رَحْمَتَكَ طَيِّبَةٌ نَجِّنِي. فَإِنِّي فَقِيرٌ وَمِسْكِينٌ أَنَا وَقَلْبِي مَجْرُوحٌ فِي دَاخِلِي. كَظِلٍّ عِنْدَ مَيْلِهِ ذَهَبْتُ. انْتُفِضْتُ كَجَرَادَةٍ. رُكْبَتَايَ ارْتَعَشَتَا مِنَ الصَّوْمِ وَلَحْمِي هُزِلَ عَنْ سِمَنٍ. وَأَنَا صِرْتُ عَاراً عِنْدَهُمْ. يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَيُنْغِضُونَ رُؤُوسَهُمْ. أَعِنِّي يَا رَبُّ إِلَهِي. خَلِّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ. وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ هِيَ يَدُكَ. أَنْتَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ هَذَا. أَمَّا هُمْ فَيَلْعَنُونَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتُبَارِكُ. قَامُوا وَخَزُوا أَمَّا عَبْدُكَ فَيَفْرَحُ. يَلْبَسْ خُصَمَائِي خَجَلاً وَلْيَتَعَطَّفُوا بِخِزْيِهِمْ كَالرِّدَاءِ. أَحْمَدُ

الرَّبَّ جِدّاً بِفَمِي وَفِي وَسَطِ كَثِيرِينَ أُسَبِّحُهُ. لأَنَّهُ يَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْمِسْكِينِ لِيُخَلِّصَهُ مِنَ الْقَاضِينَ عَلَى نَفْسِهِ" (مزمور١٠٩)

ما هذه الروعة كيف تجمعت كل هذه الشخصيات في وقت واحد!! إذا تأمَّلنا فقط في أحداث الخميس الكبير نجد قيافا، وحنان، ومجمع السنهدريم، ويهوذا الإسخريوطي, ويوم الجمعة نجد الجندي الذي لطم السيد المسيح وقال له: "أَهَكَذَا تُجَاوِبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ؟" (يو١٨: ٢٢) وبيلاطس البنطي، وهيرودس الملك، وكل جماعة رؤساء الكهنة، والذين قالوا اصلبه اصلبه "دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا" (مت٢٧: ٢٥) وقائد المئة وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ خَافُوا جِدّاً وَقَالُوا: "حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ" (مت٢٧: ٥٤).

"وَلَمَّا رَأَى فَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ قَالَ: «حَقّاً كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللَّهِ!" (مر١٥: ٣٩) عندما رأى كل ما كان وقال: "بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ بَارّاً!" (لو٢٣: ٤٧) ولنجينوس الجندى، وبارباس القاتل، وقيافا رئيس الكهنة.. ماذا حدث؟! كيف تجمَّع كل هؤلاء في وقت واحد..؟! كل هذا ليتحقق **ملْء الزمان**..!

وكلما ندخل إلى العمق نزداد تعجبًا! أن كل هذه الأحداث والشخصيات تتجمع في آنٍ واحدٍ!! وهذا يوضّح عظمة النبوة.. إن اللَّه رتّب الأحداث وجاءت النبوات سابقة لها بآلاف السنين أو مئات السنين؛ لكي تُنبئ عن الأحداث التي رتبها اللَّه وهذا الترتيب كله ترتيب في منتهى العجب؛ فقد تضافرت جميعها لتحقق الهدف وبمنتهي الإتقان ومنتهى الروعة. هذه قصة مذهلة يقف أمامها العقل في ذهول وحيرة. فلا يمكن لشخص ما أن يعرف كل ما سوف يحدث على مدى خمسة آلاف سنة وتشترك كل الأحداث سواء المواتية أو المضادة في تنفيذه، ويشترك جميع الأطراف سواء الأصدقاء أو الأعداء في تنفيذه. ويجب ألاَّ نتجاهل أن الذين تمموا هذه النبوات ليس جميعهم من رجال اللَّه أو النساء القديسات لكن كان من بينهم أعداء للَّه مثل بيلاطس البنطي، هيرودس الملك الذي قتل يوحنا المعمدان وهيرودس الملك الآخر الذي كان سابقًا له وقتَل أطفال بيت لحم، وقيافا، وحنان،...

فكيف كان سيُصلَب السيد المسيح ويتم الفداء إذا لم يكن هؤلاء الأشرار موجودين؟! وقد كان السيد المسيح في أيام تجسده يجول يصنع خيرًا.. يعظ ويُعلّم وقد حذَّر وأنذر ونصح الكتبة والفريسيين

ورؤساء الكهنة لكنهم لم يسمعوا له بل كانوا يغتاظون منه ويحاولون أن يصطادوه بكلمة.

ونتعجب عندما نرى **ملْء الزمان** يتحقق بكل هذه الأمور حتى الذين صرخوا "اصلبه اصلبه دمه علينا وعلى أولادنا" هذا أيضًا كان جزءًا من خطة **ملْء الزمان** فإذا لم يوجد هؤلاء فمَن كان يطالب بصلبه ويقول "اطلق لنا باراباس"؟! **الله لم يُجبر أحدًا أن يصير قديسًا ولم يُجبر أحدًا أن يصير شريرًا**؛ ولكنه ترك خيوط الأحداث تتجمع وتُكَوِّن اللوحة الرائعة عند الجلجثة في إتمام الفداء، وفي إظهار الصراع بين ملكوت الله ومملكة إبليس.

وماذا نقول أيضًا عن **ملْء الزمان** لأنه يعوزنا الوقت إن تكلمنا عن شخصيات أخرى كثيرة دخلت في خطة **ملْء الزمان** سواء قبل مجيء السيد المسيح أو في أثناء خدمته، وفي كل ما صنعه من معجزات، وكل ما صادفه من أحداث؛ سواء المرأة ساكبة الطيب، أو مريم المجدلية، أو الاثني عشر رسولاً ومن ضمنهم يهوذا الإسخريوطي، والتمايز بين شخصية كلٍ منهم، وكذلك يوسف الرامي، ونقوديموس، والقبر الجديد الذي قدّمه يوسف هذا والذي لم يوضع فيه أحد من الموتى؛ لكي يكون القبر بِكرًا ولا يكون فيه رائحة

الموت؛ لأن السيد المسيح هو بكر من الأموات كما أنه بكر ووحيد جنس من الآب، وبكر ووحيد من العذراء مريم، وبكر في قيامته، وبكر في صعوده إلى السماء.. ولم يكُن السيد المسيح يملُك قبرًا ولا كفنًا وقد ترك القبر فارغًا وترك الكفن وعليه تذكار آلامه وصلبه وقيامته، ليؤكِّد لنا أن الموت لم يكُن موته (أي ليس مستحقًا الموت) بل موتنا نحن، والخطية لم تكُن خطيته بل خطيتنا نحن. فلم يأخذ شيئًا مِن العالم وقد قال: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ" (يو١٨: ٣٦)... حتى الجسد الذي أخذه من العذراء مريم بذله على الصليب وقال: "الْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو٦: ٥١)، وَقَال لتَّلاَمِيذه: "خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي" (مت٢٦: ٢٦)، (مر١٤: ٢٢).... قال جسدي أبذله من أجل حياة العالم، وسوف أعطيكم جسدي لكي تحيوا به، سوف أعطيه لكم عطيةً للحياة.. جسدي ودمي في سر الإفخارستيا. وهذا الجسد المصلوب القائم الممجد صعد إلى السماء ليشفع في المؤمنين أمام الآب كل حين. وأراد بصعوده أن يمجّد هذا الجسد؛ لكي نستحق نحن أن نأخذ جسد القيامة ونرث ملكوت السماوات.

لأن الآب "وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أف٢: ٦) في المسيح رأس الكنيسة.

الله يعمل في كل الظروف والأوقات

هذه لمحة بسيطة عن **ملْء الزمان**. وهذا الكلام بالطبع كما ينطبق على الأشخاص؛ ينطبق أيضًا على النبوات. وهذا هو أحد عوامل قوة المسيحية فإنها لم تأتِ من فراغ ولكن كل ما حدث قد تم إعداده ليتحقق في ملْء الزمان. فإن الله لم يتأخر عن إتمام وعده بالفداء.

إنّ تأمُّلنا في ملْء الزمان يجعلنا نثق أنّ اللّه يعمل في كل الظروف حتى لو بدَت الأمور أحيانًا مقلقة ومظلمة، وإن كانت هناك صعوبات في حياتنا؛ لكن في وسط هذه الصعوبات اللّه يعمل ولا بد أن نرى يده في كل الأحوال. وكما افتقدَنا في ملْء الزمان؛ هو مستعد أن يفتقدنا في حياتنا الخاصة.. في قلوبنا، وفي أفكارنا، وأيضًا في مشاكلنا. بالإيمان يستطيع الإنسان أن يعيش بهذا الرجاء، لذلك يقول الرب في الكتاب "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا، وَإِنِ ارْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي" (عب١٠: ٣٨).

والسيد المسيح قال: "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو١٦: ٣٣) وقال: "طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ

يَتَعَزَّوْنَ" (مت٥: ٤)، وقيل عن الرب "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَدَّاهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إش٦٣: ٩).

وكما رأينا في أحداث فترة الميلاد وما قبله.. عالم قد خيَّم عليه الظلام.. كان العالم كله في ظلمات؛ لكن أشرق النور وتبددت الظلمة كما قال سمعان الشيخ "نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (لو٢: ٣٢)، وهكذا نستطيع بهذا الرجاء أن نرى الله يُشرق في حياتنا باستمرار.. ونرى تدبيره في كل خطوة، وندرك أن وراء كل ما يحدث في حياتنا مقاصد إلهية معيّنة..

هكذا تحققت النبوات الإلهية وجاء **ملْء الزمان**؛ فالله لا يرجع عن عهده ويقول الكتاب: "إِنْ كُنَّا غَيْرَ امَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ" (٢تي٢: ١٣).

يا ليتنا نتعلم من قصة ملْء الزمان حياة التسليم للَّه.

ولننشد مع إشعياء النبي: "أَشْبِرِي نَرَنَّمِي مَعاً يَا خَرِبَ أُورُشَلِيمَ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ. فَدَى أُورُشَلِيمَ. قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلَهِنَا" (إش٥٢: ٩، ١٠), الذي له المجد إلى الأبد آمين.

المحتويات

مقدمة.....٧
ما هو ملْء الزمان؟.....١١
وعود وعهود.....١٤
أولاً: الرموز.....١٦
ثانيًا: النبوات.....٢٨
ثالثًا : الظهورات.....٣٤
احتياج شديد لمجيء المخلص.....٣٧